

شرح:

كتاب الكبائر

لِمُؤَلِّفِهِ الْإِمَامِ:

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ الذَّهَبِيِّ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

غُفِرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَائِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس (٤٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

♦ أما بعد ♦

فمرحباً بالجميع في مجلس علم في مسجد قباء؛ في أول مسجد عام بني بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، في المسجد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ»، في المسجد الذي شهد صلاة المسلمين إلى القبلتين: إلى المسجد الأقصى وإلى الكعبة في صلاة واحدة، في صلاة الفجر عندما حولت القبلة، في هذا المسجد الذي أثنى الله عز وجل على عُمَّارِهِ، في هذا المسجد الذي هو رابع مساجد المسلمين فضلاً.

نعقد هذا المجلس لشرح (كتاب الكبائر) للإمام الذهبي رحمه الله عز وجل، وقد شرحنا القسم الأكبر من الكبائر التي ذكرها هذا الإمام الناصح رحمه الله عز وجل، ونواصل قراءة ما سطره ونعلق عليه، فيفضل الابن فايز - وفقه الله والسامعين - يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا، ولشيخنا، وللمسلمين والمسلمات، أما بعد؛ فيقول المصنف رحمه الله:

(الكبيرة الثالثة والأربعون: قاطع الرحم).

(الشرح)

تقدم معنا مراراً أن الإمام الذهبي رحمه الله في الغالب يُعْنَوْنَ للكبيرة بفاعلها؛ وذلك لأن فاعل الكبيرة هو المؤاخذ بهذا الفعل، فليست الكبيرة قاطع الرحم، وإنما قاطع الرحم فاعل الكبيرة، وأما

الكبيرة فهي قطيعة الرحم.

والرَّحِمُ: هم الأقارب للإنسان من جهة أبيه، وجهة أمه. الرحم أقارب الإنسان من جهة أبيه، ومن جهة أمه. ولا يُشترط في الرحم التي توصل المحَرَمِيَّة ولا الميراث، وإنما هي القرابة؛ فبنت العم رَحِم وإن لم يكن ابن عمها محرماً لها، والخال رَحِم وإن لم يكن وارثاً. ولكن لكل من الأقارب صلة تناسبه بحسب قربه وبُعده، وبحسب المحرمية وعدمها؛ فالأخ أقرب من العم، فصلته أكد من صلة العم، والكل مطلوب. وصلة ابن العم غير صلة بنت العم؛ فابن العم يوصل بالزيارة، أما بنت العم فإنها لا توصل بالزيارة.

قال رجل: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن الصحبة؟ فقال النبي **صلى الله عليه وسلم:**

«أُمَّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ». رواه مسلم في (الصحيح).

أحق الناس بحسن صحبتك أمك؛ مقدمة على زوجتك، على أولادك، بل وعلى أبيك في باب حسن الصحبة: «أُمَّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ»، ثم جاءت القاعدة الشرعية: «ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»؛ فكلما كان القريب أقرب كان بحسن الصحبة أولى.

وهذا الحديث - ما أدري ذكرت أنه عند مسلم أولاً - رواه مسلم في (الصحيح).

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم:**

«ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمُّكَ، وَأَبَاكَ، وَأُخْتُكَ، وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

فهذا ترتيب في الصلة: الأم، ثم الأب، ثم الأخ، ثم الأخت، ثم أدناك فأدناك بالقربى. وهذا رواه أحمد والنسائي وابن حبان، وصححه الألباني.

وقال النبي **صلى الله عليه وسلم:**

«إِنَّ اللَّهَ يُوَصِّيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْقُرَبٍ».

«إِنَّ اللَّهَ يُوَصِّيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْقُرَبٍ»، رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

إذا تحصل معنا يا إخوة: أن الرحم كل قريب للإنسان من جهة أبيه أو من جهة أمه، وأن الصلة

تتفاوت؛ فلكل قريب صلة تناسبه.

وصلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب وإيصال الخير لهم: بالقول، أو الفعل، أو المال.

الإحسان إلى الأقارب، وإيصال الخير لهم - إيصال الخير المادي والمعنوي -: بالقول؛ إحسان القول لهم، والفعل؛ كالزيارة فيمن يُزار منهم، والمال؛ أحق الناس بصدقتك ومواساتك بالمال هم ذوو رحمك، هم أولى من غيرهم؛ فصدقتك عليهم صلة وصدقة.

وقطية الرحم هي عدم فعل ذلك: عدم الإحسان إلى الأقارب، وعدم إيصال الخير إليهم.

ومن صور ذلك:

جفأؤهم غير المعتاد؛ أن تجفؤهم وتبتعد عنهم جفاءً غير معتاد؛ لأن ما جرت به العادة هذا يُلتفت إليه، لكن جفأؤهم غير المعتاد قطيعة للرحم؛ يعني إذا جرت العادة في البلد أن الإنسان يزور عمه في الشهر مرة - فكونه لا يزور عمه في الشهر مرة من غير سبب يدعو إلى ذلك، هذا من قطيعة الرحم، من قطيعة الرحم.

كذلك من صور ذلك:

عدم الإنفاق على فقيرهم مع القدرة.

والضابط العام عند العلماء لقطيعة الرحم هو العرف: ما عده العرف المستقيم صلة فهو صلة، وما عده العرف المستقيم قطيعة فهو قطيعة؛ فهذا الضابط العام.

وقطيعة الرحم محرمة بالإجماع، وهي كبيرة من كبائر الذنوب؛ ولذلك ينبغي على المؤمن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر ويخشى عقاب الله أن يَصِلَ رَحِمَهُ بما جرت به العادة، وأن يحذر أن يقطع رحمه. وكما قلت: يُراعى في ذلك العادة؛ إن وصل بأكثر منها فهو حسن، لكنه لا يفارق العادة بحيث يصبح قاطعاً. فهذا باب عظيم ينبغي على كل مؤمن ومؤمنة أن يضبطه.

(المتن)

قال رحمه الله: قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

(الشرح)

يعني: واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به؛ فإذا أراد أحدكم أن يوثق الأمر سأل بربه سبحانه وتعالى، واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وفي هذا إعلاء للرحم؛ لأن الله قرن اتقائها باتقائه سبحانه وتعالى، وهذا خطاب للناس أجمعين: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾؛ يسأل بعضكم بعضاً به، ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾؛ اتقوا الأرحام أن

تقطعوها. فدل على أن قطيعة الرحم سبب في غضب الله؛ لأن الله قرن بين تقواه واتقاء قطيعة الرحم.

(المتن)

قال رحمه الله: وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

(الشرح)

أي: فهل حسبتُم وعسيتُم إن أعرضتُم عن دين الله، هل حسبتُم وعسيتُم إن أعرضتُم عن دين الله أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم؟! ثم تواعد الله عز وجل من يفسد في الأرض ويقطع الرحم بالطرد والإبعاد من رحمته، وبالحتم على قلبه، وعلى سمعه، وعلى بصره. فدل ذلك على أن مقتضى الدين الإصلاح وصلة الرحم؛ لأن الله جعل الإفساد وقطيعة الرحم من أثر الإعراض عن دينه، فدل ذلك على أن الدين يقتضي -الإصلاح، ويقتضي صلة الرحم. ثم إن الوعيد باللعنة والحتم دليل على شناعة قطيعة الرحم، وعلى أنها كبيرة من كبائر الذنوب.

(المتن)

قال رحمه الله: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

(الشرح)

نعم، هذا الحديث متفق عليه.

وقد قال سفيان رحمه الله: يعني قاطع رحم. جاءت رواية عند مسلم:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِمٍ»

لكن الأقرب والله أعلم أن «رَحِمٍ» هنا مدرجة، ليست من الحديث، وإنما هي من كلام سفيان بن عيينة فأدرجت في الحديث.

فالحديث: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»**، أي: من يقطع الرحم.

قال بعض العلماء: أي من يستحل قطيعة الرحم ويرأها حلالاً؛ فهذا لا يدخل الجنة أبداً؛ لأن مستحل قطيعة الرحم كافر، والكافر لا يدخل الجنة أبداً.

وقال بعض أهل العلم: المقصود بالقاطع هنا -ولو لم يكن مستحلاً للقطيعة- مجرد أنه قاطع يدخل في الوعيد؛ فمعنى الحديث أن هذا العذاب الذي يستحقه، أن القطيعة لشناعتها وقبحها يستحق فاعلها ألا يدخل الجنة أبداً، لكن الله رَحِمَ الموحدين لعظم شأن التوحيد فلم يحرم الموحدين من الجنة.

يعني: هذا الذي يفعل قطيعة الرحم غير مستحل، هذا في الحقيقة فعله يستحق به أن يُمنع من الجنة أبداً، لكن الله برحمته سبحانه وتعالى حمى الموحدين من أن يُحرم من الجنة بالكلية.

وقال بعض أهل العلم المعنى: لا يدخل الجنة قاطع ابتداءً؛ فالقاطع متوعد بألا يكون مع الزمرة الأولى التي تدخل الجنة.

وهذا وعيد شديد، ولا شك أن من استحل قطيعة الرحم لا يدخل الجنة أبداً، ومن قطع الرحم غير مستحل متوعد بهذا الوعيد الشديد: ألا يدخل الجنة؛ إما بأن يُبعد عنها بعداً شديداً ويُعذب أمداً طويلاً ثم يدخل الجنة، وإما بأن يُحرم بأن يكون ممن يدخلون الجنة ابتداءً.

على كل حال، صدق رسول الله **صلى الله عليه وسلم**. ينبغي على المؤمن أن يعرض هذا على قلبه، ينظر في تعامله مع أقاربه، ويعرض هذا الحديث العظيم على قلبه: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»**، نعوذ بالله من الحرمان. وهذا يدل على أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب.

(المتن)

قال رحمه الله:

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، متفق عليه.

(الشرح)

نعم، هذا الحديث في (الصحيحين)، يقول النبي **صلى الله عليه وسلم** حاثاً ومرغباً:

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»

وهذا أمر، والأمر يقتضي -الوجوب-؛ فصلة الرحم واجبة، بل من أعلى الواجبات؛ لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** جعلها من أصول الإيمان، ومن مقتضيات الإيمان. وهذا يدل على أن الشيء من أعلى الواجبات.

وإذا كانت الصلة واجبة ومن أعلى الواجبات؛ فإن القطيعة محرمة ومن أقبح المحرمات، ومن أقبح المحرمات.

(المتن)

قال رحمه الله :

وقال صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ»، متفق عليه.

(الشرح)

هذا الحديث في (الصحيحين)، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ»؛

أي على غير مثال سابق، فالله خلق الخلق كلهم على غير مثال سابق سبحانه وتعالى،

«حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ»؛

أي فرغ من خلقهم سبحانه وتعالى،

«قَامَتِ الرَّحِمُ»؛

أي قامت القرابة التي تكون بالرحم. وهذا القيام حقيقي، فقالت هذا الكلام حقيقي، الله الذي خلقها قادر على أن يجعلها تقوم قياماً حقيقياً، وعلى أن تتكلم كلاماً حقيقياً في ذلك المقام، ولا حاجة للتأويلات التي ذكرها بعض الشراح، لا حاجة أبداً؛ بل قامت الرحم ونحن نعتقد أن الرحم قامت، هذه القرابة التي توصل بالرحم قامت في ذاك المقام وقالت فتكلمت:

«قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ»؛

أي هذا مكان المستعيز، الملتجئ، المستجير بك من القطيعة.

«قَالَ: نَعَمْ» سبحانه وتعالى، «قَالَ: نَعَمْ»؛ أي هذا مقام العائد بي من القطيعة، نعم؛ أي هذا مقام

العائد بي من القطيعة،

«أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ»؛

فأصله بإحساني، ورحمتي، وحفظي.

صلة الرحم جلابة للبركات من الله سبحانه وتعالى؛ يجد الإنسان أثر صلة الرحم في قلبه، يجد الإنسان أثر صلة الرحم في دينه، يجد الإنسان أثر صلة الرحم في طمأنينة قلبه، يجد الإنسان أثر صلة الرحم في سعادته؛ لأن الله يصله، الله الرحيم، الرحمن، الرؤوف، الكريم يصله سبحانه وتعالى.

«وَأَقْطَعْ مَنْ قَطَعَكَ»؛

أي أحرمه من إحساني، وحفظي، ورحمتي. ومن حُرِمَ إحسان الله كيف يفلح؟! والله إن الفلاح بعيد عنه؛ فقطيعة الرحم سبب للخسران، سبب لألا يوفق الإنسان، سبب لقسوة القلب، سبب للشقاء؛ لأن الله قطعه سبحانه وتعالى.

«قَالَتْ: بَلَى»؛ أَرْضَى بهذا، قال الله -وهذا من الحديث-:

«قَالَ: فَهُوَ لَكِي».

الذهبي ما ذكر هذه الجملة، هذا من الحديث: **«قَالَ: فَهُوَ لَكِي»**؛ أي أن الله جعل للرحم أن من وصلها وصله سبحانه وتعالى، ومن قطعها قطعه.

فدل هذا على عظم شأن صلة الرحم، وقبح وشدة قبح قطيعة الرحم.

صلة الرحم عمل صالح ثوابه في الدنيا والآخرة، وقطيعة الرحم عمل قبيح عقوبته في الدنيا والآخرة؛ يعجل الله من العقوبة لقاطع الرحم في الدنيا ما يشاء، مع ما يُدخِر له من العقاب يوم القيامة.

(المتن)

قال رحمه الله :

وقال صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، متفق عليه.

(الشرح)

نعم، هذا الحديث في (الصحيحين)، وفي هذا إغراءً بصلة الرحم بذكر بعض ثوابها. وإذا كان

هذا من ثوابها في الدنيا، فما بالك بثوابها عند لقاء الله سبحانه وتعالى؟!

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ»؛

يُوسَّع عليه في رزقه، أعظم أسباب دفع الفقر، أو الحاجة، أو عدم القناعة بعد التوحيد صلة الرحم؛ يُرزق بها الإنسان حاجته، ما يحتاج لأحد، ويُقنَّع بما أوتي؛ فتجده مرتاحاً غير متعلق بأموال الناس.

«وَيُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ»

أي يؤخر له في أجله. وهل هذا التأخير حقيقي في العمر، أو معنوي؟ قال بعض العلماء: حقيقي بالنسبة لما في أيدي الملائكة؛ يكون الملك الموكل به في يده: هذا العبد إن وصل رحمه فعمره ثمانون سنة، وإن قطع رحمه فعمره ستون سنة، والذي في اللوح المحفوظ واحد، لكن بالنسبة للذي في يد الملك فالملك يرقبه؛ فإن كان واصلاً لم يقبضه عند الستين، وإن كان قاطعاً قبضه عند الستين.

وقال بعض العلماء: هو معنوي؛ أي يجعل الله له بالبركة في عمره ما لا يفعله -يفعل فيه ما لا يفعله- المعمرون؛ عمره هو، لكن يرزقه الله بركة؛ فكأن يومه أيام، وكأن أسبوعه أسابيع، وكأن شهره أشهر، وكأن سنته سنين بالبركة التي يجعلها الله عز وجل في عمره. وعلى كل حال فهذا وعد عظيم.

وهل للإنسان أن ينويه في صلة الرحم؟ نعم، ما في بأس، ولا يضر. الأجر أبداً؛ يصل رحمه لله ويريد ويجب أن يوسع عليه في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ لأن النبي **صلى الله عليه وسلم** علقه بصلة الرحم.

(مفهوم المخالفة): أن قطيعة الرحم سبب للفقر، أو عدم القناعة بما عند الإنسان، وهذا أشد أنواع الفقر؛ أن يكون الإنسان ذا مال لكن لا يستعمله في نفعه، ولا يرى نفسه غنياً، بل يرى نفسه فقيراً. كما أنها سبب في محو البركة من العمر؛ ربع ساعة تقتطعه من يومك، أو من أسبوعك، أو من شهرك تحل به البركة عليك، أو تحرم نفسك منه؛ ما تذهب إلى أمك، ما تذهب إلى قريبك على ما قلنا على ما جرت به العادة، وهو لا يأخذ من وقتك شيئاً، فتُسلب البركة في عمرك، ويكون عمرك صار قصيراً بهذا أو على ما قلناه بالمعنى الأول، فالحديث محتمل لهذا وهذا.

(المتن)

قال رحمه الله :

وقال صلى الله عليه وسلم:

«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»، وفي لفظ يقول الله

تعالى...

(الشرح)

نعم، هذا الحديث متفق عليه، وهذا اللفظ لفظ مسلم.

الرحم معلقة بالعرش، وقلنا: الرحم المقصود بها القرابة التي توصل بالرحم، معلقة بالعرش،

قريبة من الله سبحانه وتعالى، تقول - وهذا يدل على الاستمرار؛ لأنه فعل مضارع - تقول:

«مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ»؛

بإحسانه، ورحمته، وحفظه،

«وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»؛

قطعه الله من إحسانه ورحمته سبحانه وتعالى.

لماذا تقول هذا؟ لأن الله جعل لها ذلك كما في الحديث المتقدم، وقال: «فهذا لكي»، فهي تنادي

بما جعله الله لها، وأخبرنا بذلك كأننا نسمع ندائها وهي تقول هذا القول.

سبحان الله! كيف يستصحب المسلم هذا وهو مصدق بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ثم

تمر عليه الليالي والأيام وهو قاطع لرحمه، لا يصل رحمه، نعوذ بالله من القطيعة.

(المتن)

قال رحمه الله:

وفي لفظ يقول الله تعالى:

«مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّتْهُ».

(الشرح)

هذا عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، يقول الله عز وجل: «مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ،

وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ»، «مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ»، هذا لفظ البخاري.

أما هذا اللفظ الذي ذكره المصنف، فهذا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله

عنها عند أحمد، ومن حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عند أحمد، والترمذي، وأبي داود،

وصححه الألباني

إذا جملة: «بَتَّتُهُ» ليست عند البخاري في (الصحيح)، وإنما اللفظ الآخر: «قَطَعْتُهُ»، هذا الذي عند البخاري في (الصحيح). و«بَتَّتُهُ» عند أحمد بإسناد صحيح.

والمعنى كما تقدم: ربنا سبحانه وتعالى يقول: «مَنْ وَصَّلَهَا وَصَلَّتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»، الرحم معلقة بالعرش والله يقول: «مَنْ وَصَّلَهَا وَصَلَّتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»، وهي تقول بوعدها ربها: «مَنْ وَصَّلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»، أعوذ بالله! أعوذ بالله كيف يتجرأ المؤمن على القطيعة وهو يعلم بهذا؟! الله يقول سبحانه وتعالى، والرحم تقول بوعدها سبحانه وتعالى، ويتجرأ المؤمن على القطيعة!

تجد بعض الناس يصل كل الناس إلا من أمره الله بوصله، بل قد يصل من يحرم عليه أن يصله، ويقطع من يجب عليه أن يصله، نعوذ بالله من الخذلان!

القلوب يا إخوة لا بد أن تُحيا بالنصوص؛ القلوب حياتها الحقيقية بـ: "قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم"، ليست بالأقاصيص والتخشع الكاذب أمام الناس؛ القلوب إنما تُحيا بـ: "قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ينبغي أن نحیی قلوبنا بهذه النصوص، وأن نحیی قلوب أهلينا وإخواننا بهذه النصوص.

(المتن)

قال رحمه الله :

وقال الله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

(الشرح)

نعم، هذا دليل على أن قطع ما أمر الله بوصله كبيرة من كبائر الذنوب، والله قد أمر بوصل الرحم؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، فدل ذلك على أن قطيعة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب، يُتوعد فاعلها بلعنة الله وبسوء الدار، والعياذ بالله.

(المتن)

قال رحمه الله :

وقال محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال:

«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ».

(الشرح)

نعم، هذا الحديث رواه أحمد والحاكم وصححه، وروى نحوه أبو داود والترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف، هذا الحديث من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه أحمد والحاكم، وروى نحوه أبو داود والترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، والحديث صحيح.

قال النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى:

«أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ».

أي أن اسمها مشتق من اسم الله، أن اسمها مشتق من اسم الله،

«مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ».

وقد تقدم معنى هذا.

(المتن)

قال رحمه الله :

فنقول: من قطع رحمه الفقراء وهو غني فهو مراد ولا بد، وكذا من قطعهم بالجفاء والإهمال

والحَمَق.

(الشرح)

يقول الذهبي: من قطع رحمه الفقراء وهو غني فهو مراد؛ يعني من هذا الوعيد: «من وصلها

وصلته، «ومن قطعها قطعته». يقول: الذي عنده مال، ويعلم أن قريبه جائع، لا يجد ما يقيم أودّه

ومن يمون، ثم ييخل على قريبه.

بعض الناس ينفق على نفسه وعلى ذريته بسخاء زائد بل بإسراف، ويعلم أن قريبه فقير جائع، قد

يمر عليه اليوم لا يجد إلا قطعة خبز يأكلها، ومع ذلك لا يصله، ولا يواسيه به؛ هذا مراد وداخل

في الوعيد: «من قطعها قطعته» يقيناً.

قال: «وكذا من قطعهم بالجفاء»، وقلنا: الجفاء غير المعتاد لغير سبب شرعي. أما جفاؤهم لسبب شرعي فممدوح؛ لو كان القريب ساحراً، ويأبى النصح - والساحر كافر - جفاؤه مطلوب. لو كان مبتدعاً فهجره مطلوب في موطنه وبالأسلوب الشرعي. أما الجفاء غير المعتاد لغير سبب شرعي، فلا شك أنه قطيعة، وأنه داخل في الوعيد.

«والإهمال»، ومن أعظم الإهمال: إهمال نصيحهم؛ يجد قريبه على شرك، يذهب إلى القبور، وينادي أهلها، ويستغيث بأهلها، وقريبه ربما طالب علم ما ينصحه يوماً عن هذا الشرك الأكبر! وقد يراه على بدعة ولا ينصحه، وقد يراه على معصية ويجلس معه، ويكهنه معه، ويتكلم معه؛ لكنه لا ينصحه يوماً عن هذه المعصية التي هو عليها؛ هذا أشد الإهمال، وأقبح الإهمال، وهو من قطيعة الرحم.

(المتن)

قال رحمه الله :

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ».

(الشرح)

نعم، هذا الحديث رواه البزار، والطبراني، والبيهقي، وحسنه الألباني. إسناده فيه نظر، لكن مجموع الأسانيد والأصول تقويه وتشهد له.

«بُلُّوا»؛ أي أبقوها طرية ندية، «وَلَوْ بِالسَّلَامِ».

السلام يا إخوة مفتاح المحبة، السلام مفتاح المحبة، مفتاح النداوة، ولو بالسلام؛ لو ترفع الهاتف على خالك: السلام عليكم، كيف حالكم؟ على خالتك: السلام عليكم، كيف الحال؟ «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ»؛ لأنها تحف مع الزمن بالقطيعة، فأبقوها طرية ندية ولو بالسلام.

وهذا يدل على أن أقل الوصل: السلام، أقل الوصل الواجب: السلام؛ لأن النبي صلى الله عليه

وسلم جعله الأدنى: «وَلَوْ بِالسَّلَامِ»، فأقل الصلة الواجبة: السلام.

وفي هذا نهي عن جعل الرحم تحف بالهجران، إلا أن يكون الهجران لسبب شرعي.

وهذا يدلنا على عظمة هذا الدين؛ ديننا دين الصلة والحقوق، ويأبى القطيعة والعقوق، كله خير

وبركة. حتى من يخالط المسلمين من الصغار -ولو لم يكن مسلماً- يتأثر بهذا.

فيه امرأة في أوروبا في دولة من الدول، تُحضر - ولدها كل يوم للمسجد ليصلي مع المسلمين؛ يدخل يجلس معهم، ويجلس مع الأطفال الذين يقرؤون القرآن وكذا. سألوها: لماذا؟ قالت: لأن أخلاقه معي تحسنت، صار يعاملني معاملة طيبة، هذا غير معتاد عندنا.

وأذكر أنا زرنا أمريكا في عام سبعة وعشرين من الهجرة (١٤٢٧ هـ)، وزرنا بعض الأسر، فما نجد إلا شيخاً كبيراً لوحده، أو عجوزاً كبيرة لوحدها. ما عندكم أولاد؟ قالوا: عندنا أولاد، لكن أحسنهم الذي يأتيني في ليلة عيد الميلاد، وإلا بعضهم له خمس سنين ست سنين ما رأيته!

فصرنا نبين لهم أن الإسلام يحرم هذا، ويأمر بصلة الرحم، وأعظمها صلة الوالدين، فتأثروا كثيراً، حتى إن منهم من طلب كتباً تتكلم عن الإسلام.

هذا الدين عظيم، عظيم جداً؛ لكن للأسف أن بعض أهله لا يمثلونه امتثالاً يُظهر حسنه أمام الناس، ولا أقول كل أهله، بل الخير كثير في أمة محمد **صلى الله عليه وسلم**، لكن بعض أهله.

وأولى الناس بامثال تعليمات الإسلام والمعالم الكبرى له: طلاب العلم؛ لا يليق بطالب العلم أن يكون قاطعاً للرحم، هو لا يليق بكل مسلم ومسلمة، لكن طالب العلم القطيعة منه أقبح، ينبغي على طالب العلم أن يكون قدوة.

ثم يا إخوة، والله إن البر والصلة تُورَث، تُورث بالقدوة، وخاصة عندما يكون الأطفال صغاراً؛ ما يراك ابنك الصغير تفعله بأبيك سيرسخ في ذهنه، وسيفعل بك كذلك ربما وهو صغير.

قد تكون أنت إذا جاء أبوك يخرج من البيت تحضر - له حذاءه وتضعها مرتبة، والطفل يرى هذا؛ ربما وهو صغير - لا أقول حتى تكبر - يذهب ابنك ويأتي بحذائك ويضعها بين رجليك.

القدوة يا إخوة، القدوة في البر والصلة مهمة جداً؛ اجعل أبنائك يتعلمون منك الصلة، ويتعلمون منك البر بفعلك؛ يرونك حريصاً على والديك، تشفق عليهما، تخاف عليهما، تصلهما، تعطيها من المال قبل غيرهما، تتواضع لأبيك وأمك ولو كنت شيخاً كبيراً.

أحد السلف وهو في درسه أمه تناديه ليضع الحبَّ للدجاج، يقوم من الدرس ويضع الحب للدجاج ويرجع إلى درسه!

عَلِّم أبنائك، بناتك، ومن يراك من الصغار البرَّ والصلة بالقدوة؛ ووالله إنه لزرع يُجتنى ثمره ولا

بد، ومن زرع المر جنى المر، ومن زرع الحلو جنى الحلو.

أسأل الله عز وجل أن يفقهنا في دينه، وأن يحرك قلوبنا بكتابه وسنة نبيه **صلى الله عليه وسلم**، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

نقتصر على هذا، والأسبوع القادم إن شاء الله سنتكلم عن كبيرة التصوير؛ لأنني أريد أن أجعلها في مجلس مستقل، ثم بعده إن شاء الله في كل مجلس سنشرح كبيرتين أو ثلاث كبائر بحسب المادة، لكن كبيرة التصوير أريد أن أفرد لها بمجلس هو الأسبوع القادم إن شاء الله عز وجل.

أسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی أن يجعلني وإياكم من عباده الصالحين الصادقين، وأن يكفيننا شرور أنفسنا والشياطين، وأن يفقهنا في دينه، وأن يجعلنا رحمة على أمة محمد **صلى الله عليه وسلم** قاصيها ودانيها.

وَاللّٰهُ تَعَالٰى اَعْلٰى وَاَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.

